مصطلح المشاكلة في الخطاب الإبلاغي الشفهي ـ أمثال الميداني أنموذجا

د. بوجمعة بومدين
جامعة معسكر

الملخص:
يسعى هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة صوتية لها تجلياتها في الخطاب الشفهي، وتأثيراتها الأسلوبية في تحقيق الخفة والسهولة بالنسبة لمفردات المثل، من خلال مظاهر الانسجام الصوتي على المستوى الصرفي، والجهر والهمس، والإطباق والانفتاح، إلى جانب مظاهر القلب والإبدال والإعلال. وجميع هذه المظاهر الصوتية تسهم في تشكيل خطاب شفهي تطرب أذن المتلقي عند سماعه، ومن ثمّ يحصل التأثير، ويسهل حفظ المثل، ويتم إدراك الزخم الدلالي الذي يحتويه. محاولين تتبّع هذه الظاهرة الأسلوبية من جانبها الصوتي والصرفي في أمثال الميداني من خلال كتاب مجمع الأمثال الذي رصّعه صاحبه بأجمل ما تداوله اللسان العربي من أمثال خالدة حملت قيما إنسانية، غنية بكل المظاهر الجمالية والأسلوبية.
الكلمات المفتاحية: المشاكلة ـ الخطاب الشفهي ـ المثل ـ الانسجام الصوتي ـ الصرف ـ الزخم الدلالي ـ الخفة والسهولة ـ أمثال الميداني.

Summary :
This work aims to fix a phonetic phenomenon observed in the oral discourse and its stylistic impacts in realizing lightness and ease according to the proverb vocabulary, through the phonetic harmony appearances on the morphological level.The voicingand devoicing, velarization and release or openness, besides inversion and commutation. All these phonetic phenomenon contribute to make an oral discourse that can please the receiver and have an impact on him, therefore the proverb will be easy to be learned. We tried to track this stylistic phenomenon from a morphological and phonetic view through "El Meidani" proverbs in his book "Medjmaa El Emthal" "All The Proverbs" which has been embellished by the most prophetic and eternal proverbs used by the Arabs, from one sidefull of human values, and on the other rich in its esthetic and stylistic.
Key words:
Oral discourse, proverb, phonetic harmony, morphology, lightness and ease, "El Meidani Proverbs".

تمهيد:
يشتمل الخطاب الأدبي على مجموعة من العناصر الأدبية التي تجعل من سماته اللفظية أكثر ارتباطا، إما على سبيل التشاكل وهو العنصر الغالب، وإما على سبيل التباين أو

الاختلاف الذي يسهم في تأسيس الدّلالة، وبالتالي؛ فإنّ أيّ نص أدبي يقوم نسجه على التشاكل أكثر من التباين.

إذا ما هي طبيعة التشاكل، وما حقيقة توظيفه في المثل العربي، وما مدى تجاوب قائلي المثل لهذه الحقيقة؟

تعد ظاهرة المشاكلة من الظواهر اللغوية البارزة في الكلام العربي، وتقوم على نظام من الأحكام المحدودة ويندرج تحتها ما لا ينحصر من المظاهر اللغوية التي فزع إليها العربي في كلامه؛ من أجل نظم الكلام وسياقه، وإن خالف الوضع اللغوي.

المشاكلة لغة:

للوقوف على لفظة مشاكلة يجب أن نعرّج على المعاجم العربية خاصة لسان العرب والقاموس المحيط بغية تتبّع ما له صلة بمعاني هذا المصطلح انطلاقا من الجذر الثلاثي للفظة(ش ك ل) بفتح الشين، والكاف، واللام، فنقرأ في لسان العرب: تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه...والشكل: المثل، نقول: هذا على شكل هذا أي على مثاله، وفلان شكل فلان أي مثله في حالاته، ويقال: هذا من شكل هذا أي من ضربه ونحوه، وهذا أشكل بهذا أي أشبه، والمشاكلة الموافقة، والتشاكل مثله"[1]. وفي القاموس المحيط: المشاكلة: الموافقة كالتشاكل وفيه أشكله من أبيه، وشكلة، بالضم. وشاكل، أي شبه، وهذا أشكل به، أي أشبه[2].

المشاكلة اصطلاحا:

المشاكلة في الاصطلاح البلاغي عرّفها القزويني بقوله: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا "[3].

وفي الاصطلاح النقدي ظاهرة تحدّث عنها الفرّاء(ت 207هـ / 822م) دون أن يسميها، قال في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[4]: فإن قال قائل: أرأيت قوله: " **فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** " أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى إنّما هو لفظ على مثل ما سبق قبله[5]، ألا ترى أنّه قال: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"، "فالعدوان من المشركين في اللفظ، ظلم في المعنى، والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلما وإن كان لفظه واحد"[6].

والمشاكلة في كتب البلاغيين تتصرف إلى معنى الموافقة أو المماثلة أو المشابهة، ومن هذا يمكن إطلاق لفظة المشاكلة في اللغة العربية على الظاهرة التي يراعى فيها توافق أو تشابه أو تماثل شيئين، أيا ما كانا صوتين أو لفظين أو لفظا ومعنى أو غير ذلك، فيجري أحدهما مجرى الأخر وإن كانا مختلفين.

---

[1] *ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3 1994المجلد11/ص356– 357*

[2] *الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د-ت) ،ج5503.*

[3] *القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق :محمد عبد المنعم خفاجي، دار و مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2000 م ص: 296*

[4] *سورة البقرة، الآية 192.*

[5] *أي قوله: ﴿إن الله لا يحبُّ المعتدين﴾.*

[6] *الفراء، معاني القرآن، ج1، ص: 116، وانظر: د، أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 1987، ج3، ص: 258.*

فمثال الصوتين: اظلم والأصل اظتلم، صراط وسراط، صيام والأصل صوام، ست والأصل سدس....

ومثال اللفظين: كقوله تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ**﴾[7]، وقول العرب: هذا حجر ضبّ خرب.

ومثال اللفظ والمعنى كقوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾[8] وذكر الزركشي (ت 794هـ) انـه : ((ولم من (طين) كما أخبر سبحانه في غير موضع : (إني خالق بشرا من طين)[9] إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف،وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفها لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر[10].

وعند اللغويين العرب المتقدمين فلم توصف (المشاكلة) عندهم على أنها ظاهرة عامة بل جاءت متفرقة في كتبهم مقصورة على أمثلة لهذه الظاهرة ومعبرة عنها بمسميات أخرى:

ففي الصوت نجد المضارعة والإدغام الأصغر والمناسبة والإتباع الحركي والإمالة والمجاورة، وفي الصرف نجد الفواصل القرآنية وعلة المشابهة (حمل النظير على النظير) وظاهرة الإتباع والمحاذاة، وفي النحو نجد المجرور بالمجاورة وحركة الإتباع (إتباع المستثنى و المستثنى منه) وباب الاشتعال.

إن اللغويين العرب عبروا عنها بمصطلحات منها: المضارعة عند سيبويه (ت 180هـ)[11]، ومصطلح الإدغام الأصغر عند ابن جني (ت392هـ)[12] ، ومصطلح المحاذاة والمزواجة عند ابن فارس (ت395هـ)[13].

كما أن الزركشي عقد بابا واسعا في كتابه (البرهان في علوم القران) لما يجيء في التنزيل من مشاكلة اللفظ للفظ، ومشاكلة اللفظ للمعنى[14].

وعن أهميتها أشار المحدثون، ومنهم د محمد عبد المطلب بقوله:"إن الألفاظ المشاكلة تكتسب من المجاورة تمازجا في الدلالة يخرجها عن النمط المألوف ويعدل بها عن دلالة المطابقة إلى الناحية إبداعية، وهذا التمازج لا يتمثل في التكرار المجسّم في العبارة بل إنّه يتحقّق ذهنيا من خلال تقدير المجاورة في الدلالة وما يستتبع ذلك من تمازجها"[15]

ولتنوع مداخل هذا المظهر اللغوي اكتفى البحث بملامسة بعض أشكاله التي تنتشر في أمثال الميداني، خاصة ما يتعلّق بالمستويين الصوتي والصرفي.

الانسجام الصوتي على المستوى الصرفي:

---

[7] سورة البقرة، الآية 194.

[8] سورة آل عمران، الآية 59

[9] الزركشي، تح : محمد أبي الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القران،: 239/3.

[10] المصدر نفسه.

[11] ينظر : كتاب سيبويه : 477/4- 478.

[12] ينظر ابن جني، الخصائص : 143/2-145.

[13] ينظر ابن فارس، فقه اللغة : ص15.

[14] ينظر الزركشي، البرهان في علوم القران : 233/3 وما بعدها.

[15] الدكتور: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، دار نوبار للطباعة ـ القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، ط1، 1997م.

إن الأصوات المتجاورة تؤثر وتميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعا إلى الانسجام الصوتي واقتصادا في الجهد الذي يبذله المتكلم[16].
فإذا التقى صوتان في الكلام من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شدّ وجذب[17]، وحاول كل منهما جذب صاحبه إليه بتماثله معه في صفاته كلها أو في بعضها، وهذا الانسجام يحدث بين الأصوات الصامتة و الحركات[18].
وقد آثر المحدثون أن يقسموا المماثلة على ضربين:
الأول : المقبل أو التأثر التقدمي يعني تأثر الصوت الثاني بالأول.
والآخر : المدبر أو التأثر الرجعي يعني تأثر الصوت الأول بالثاني.
لقد عرف الدرس الصوتي عند العرب المماثلة الصوتية، وسميت فيها مسميات فاتخذت اسمي المضارعة والتقريب عند سيبويه؛ إذ عالجها في باب الحرف الذي يضارع به حرفا من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، فقال: ((فأما الذي يضارع به الحرف من مخرجه، فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو: تصدر، وأصدر، والتصدير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افتعل، فلم تدغم الصاد في التاء ولم تدغم الدال فيها، ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطبر، وهي من نفس الحرف فلما كانتا من نفس الحرف،أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت،فجعلوا الأول تابعا للآخر فضارعوا به أشبه الحروف من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق))[19].
وذكر أيضا: ((وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلوا ذاهبا قي الإدغام، وذلك قولك في التصدير: التزدير، في القصد: القزد، وفي أصدرت: ازدرت؛ وإنما دعاهم أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد))[20] ويتضح من هذين النصين أن سيبويه استعمل مصطلح المضارعة والتقريب بدلا من المماثلة الصوتية للدلالة على تأثر الأصوات بعضها ببعض وإبدال بعضها من بعض.
أما ابن جني فقد عالج هذه الظاهرة تحت ما يسمى بالإدغام الأصغر، وهو عنده ((تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك، وهو ضروب مختلفة))[21] ، وذكر أمثلة توضح هذا:((فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو : عالم، وكتاب، وسعى، وقضى، واستقصى ؛ ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه،بان نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء....، ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا،أو ضادا،أو طاء،أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو : اصطبر، واضطرب، واطرد،واظطلم فهذا تقريب من غير إدغام...،ومن ذلك السين قبل

---

[16] د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: 22، ود. خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب(المخطوط): 52
[17] ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها.
[18] ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها.
[19] كتاب سيبويه : 4/477- 478.
[20] المصدر نفسه : 4/478.
[21] ابن جني، الخصائص : 2/143.

الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا على ما هو مبين في موضعه من باب الإدغام، وذلك قولهم : في سقت :صقت،وفي السوق، الصوق، وفي سبقت : صبقت، وفي سملق وسوبق :صملق وصوبق...،ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو : شعير، وبعير، ورغيف.))[22].

ويتضح مما ذكره ابن جني في الأمثلة السابقة أن المماثلة الصوتية تعني تقريب الصوت من الصوت من أجل تحقيق التوافق والانسجام الصوتي.

وأطلق الرضي الاستراباذي (ت686هـ) على المماثلة الصوتية اسم المناسبة [23]ويعني بها تحقيق الانسجام والتقارب الصوتي.

ويتبين من ذلك أن اللغويين العرب القدامى قد أشاروا إلى المماثلة وقدّموا لنا أمثلة عليها إلاّ أنهم لم يفصلوا القول ولم يجعلوا لها بابا مستقلا مثلما فعل علماء اللغة المحدثون.

يشيع التماثل الصوتي في الأمثال شيوعا كبيرا، ويمكن استجلاؤه بوصفه ملمحا أسلوبيا، وتتمثّل هذه الظاهرة في المقاطع الطويلة المؤلفة من صامت وصائت طويل(ب ـ) سواء أكان الصائت الطويل ألفا أم واوا أم ياء.

ولعلّ المقاطع الطويلة(حروف المد) تشكّل عنصر إبطاء لإيقاع المثل (الشفوي)، مما يجعل إمكانية التقاطه سمعيا أكثر وضوحا وجلاء، مما يؤثر في سرعة استبطانه وحفظه، فهذه المقاطع تحتاج إلى مدى زمني أطول عند نطقها أكثر مما تحتاجه المقاطع القصيرة، وهذا ينسجم مع رغبة المخاطب في إسماع المتلقّي وشدّ انتباهه.

ويمكن الوقوف عند بعض الأمثلة لاستجلاء هذه الظاهرة في أمثال الميداني:

"كان كُرَاعا فَصَارَ ذِرَاعا"[24]

كا راعا صا راعا

يتركّب هذا المثل من جملتين قصيرتين تبدآن بالفعلين الناقصين(كان وصار) يربط بينهما حرف العطف (الفاء)، ويرد في جملة المثل هذه المقطع الطويل(صوت الألف) مرّات عديدة، فلا تخلو لفظة من هذا المقطع، وفي أربعة ألفاظ (هي كلّ المثل) يرد المقطع الطويل ستّ مرّات.

ويُعدّ صوت الألف من أصوات اللين المجهورة، التي لا يعترض مجرى الهواء معها أي حوائل عند مروره، فيندفع في الحلق والفم حرا طليقا، فالألف أوسع حروف المد(الألف والواو والياء) وألينها، وأكثرها امتدادا[25].

وهذا يحقق إيقاعا واضحا عبر امتداد الصوت المتكرر في مختلف مقاطع المثل الصوتية، وهذا الامتداد الصوتي يتواءم مع المسافة الزمنية التي يحتاجها التأمل في الأشياء والتّعجّب من تقلّب الأحوال، إذ إنّ المثل يضرب "للذليل صار عزيزا قويا"[26]،فالتماثل الصوتي إذن ينسجم مع دلالة هذا المثل، ويمنحه طاقة إيقاعية وإيحائية واضحة.

---

[22] المصدر نفسه : 2/143-145.

[23] ينظر الرضي الاستراباذي، شرح الشافية،: 3/4.

[24] أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2003م، ج2، ص32. انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص36.

[25] انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص36

[26] المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

"لا آتيك حتى يئوب القارظان"[27].

لا ءا تي تا ءو قا ظا

لا تخلو لفظة من ألفاظ هذا المثل من مقطع طويل يتمثّل في أحد حروف المدّ الثلاثة: الألف والواو والياء، مما يجعل نطق كلّ منها بطيئا محتاجا إلى زمن يوازي امتداد الصوت عبر الحلق، وينسجم مع الدّلالة التي يحملها، ففي الناطق حسرة ويأس، كما يحمل في نفسه الألم والحزن لاستحالة عودة الشخص الغائب الذي يُمثّل بالقارظين، يُضاف إلى ذلك الإشعار بامتناع القائل عن المجيء أو مقابلة الطرف الآخر، وهذا الامتناع من حيث أنّه درجة عليا من التباطؤ، محتاج إلى إيقاع يشي بالبطء والثّقل، للجمع بين الضرورة التعبيرية والقالب الإيقاعي المناسب لها.

"لا آتيك ما دام السعدان مستلقيا"[28]

لا ءاتي ما دا دا يا

ترد المقاطع الطويلة في هذا المثل بشكل لافت، لا تخلو منها لفظة واحدة، مما يوفّر إيقاعا يرتكز على التماثل الصوتي الذي يأتي من امتداد الصوت المتكرّر عبر مسافات متقاربة إلى حدّ بعيد، ويحتاج النطق بالمقاطع الطويلة إلى زمن أطول من نطق المقاطع القصيرة، وينسجم هذا الامتداد مع الطاقة الإيحائية في هذا المثل؛ إذ يشير إلى بعد المسافة مكانيا وطول المدّة زمنيا، فالقائل ممتنع عن المجيء، وهو يجعل ذلك مستحيلا بصورة أبدية، ويورد الميداني في دلالة المثل أنّه "قيل لأعرابي كره البادية: هل لك في البادية؟ قال: أما ما دام السعدان مستلقيا فلا، قالوا: و"كذا ينبت السعدان"[29]، أي أن هذا النبات يظهر بطبيعته ملتصقا بالأرض، وقائل المثل يربط زمن امتناعه بالمجيء بأمر يستحيل تغيّره، لأنّه من الظواهر المستمرة، وقد جاء المستوى الإيقاعي متناسبا مع هذا القرار القاطع المعبّر عنه بصيغة: الإمكانية المستحيلة التي تنطوي على مفارقة لافتة عبر التضاد بين الممكن والمستحيل.

والمثل القائل:**"لا تَراءى ناراهما"**[30]، تظهر فيه المقاطع الطويلة في تزاحم؛ لا را ءى نا را ما، مما يشكّل إيقاعا يستند على التماثل الصوتي الممتد عبر مسفات متقاربة ومتزاحمة لتحقيق فكرة التباعد بين مقام المسلم ومقام المشرك، وهذا المثل حديث شريف قاله صلى الله عليه وسلم، أي لا يحلّ للمسلم أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم، بحيث يرى كلّ واحد منهما نار صاحبه، فجعل الرؤية للنار، والمعنى أن تدنو هذه من هذه، وأراد لا تتراءى، فحذف إحدى التاءين، وهو نفي يُراد به النهي، وقد ورد المستوى الإيقاعي ملائما لمعنى التباعد المكاني بين المسلم والمشرك.

وقول العرب:**"لا عَبَابَ ولا أبَابَ"**[31] يتألّف هذا المثل من أربعة مقاطع طويلة في جميع ألفاظه، لا با لا با، وهذا التّشكّل الصوتي يتناسب مع الغرض الذي يحمله المثل؛ إذ يقالُ إنّ الظّباء إذا أصابت الماء لم تعبّ فيه، وإن لم تصبه لم تأبُبْ له، أي لم تتهيّأ لطلبه، وقالوا

---

[27] *الميداني، ج2، ص : 212. القارظان: مثنى القارظ، الذي يجتني القَرَظَ ، وهو ورق السّلم يدبغ به، ويقال هذان القارظان كانا من عنزة خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا.*

[28] *المرجع نفسه، ص: 233.*

[29] *المرجع نفسه، الصفحة نفسها.*

[30] *المرجغ نفسه، ص : 197.*

[31] *المرجع نفسه، ص: 243.*

ليس شيء من الوحوش من الظباء والنعام والبقر يطلب الماء إلاّ أن يرى الماء قريبا فيَردَه، وإن تباعد عنه لم يطلبه ولم يرده كما يرد الحمير. وإنّما تحقق معنى التباعد بمثل هذه المقاطع الطويلة، وهذا التشكل الصوتي.

لقد تحدث علماء العربية المحدثون عن المماثلة الصوتية، وجعلوها درجات ومن درجاتها:

1 – الجهر والهمس:

وضح علماء العربية القدماء مظاهر هذه الدرجة من المماثلة عند معالجتهم صيغة (افتعل) من الأفعال المبدوءة بصوت الزاي، نحو :زان، زار، زجر التي تصبح : ازتان، ازتار، ازتجر ثم تتحول عن طريق المماثلة: ازدان، ازدار، ازدجر، وقد عالج ابن عصفور (ت 669هـ) هذه الصيغة بقوله: ((إن السبب في ذلك أن الزاي مجهورة والتاء مهموسة، والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء فقربوا أحد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما. فأبدلوا الدال من التاء لأنها أخت التاء في المخرج والشدة، وأخت الزاي في الجهر))[32].

وذكر د. خليل إبراهيم العطية أن هذا فهم واع لهذا الضرب من التماثل فعندما تجاور الصوتان التاء والزاي تجاورا تاما فإن الصوتين تجاذبا النزاع، ومالا إلى توفير نوع من الانسجام بينهما، حيث تأثرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجهر بها فتحولت التاء دالا؛ لان كلا الصوتين التاء والدال من مخرج واحد هو الأصوات الأسنانية اللثوية، وأضحى كل من الدال والزاي مقاربا في صفة الجهر[33].

ومن أمثلة ذلك في أمثال الميداني قولهم:[34] **"ازددت رَغما، ولم تُدرِكْ وغْما"، "زادك اللهُ رَعالة كلّما ازْدَدْتَ مَثَالَة"، "زرْ غِبّا تزدَدْ حُبّا".**

ومن ذلك يتضح أن هذا من التماثل مقبل أو تقدمي أي تأثر الصوت الثاني (التاء) بالأول (الزاي).

2 – الإطباق والانفتاح:

ومن معالجات العرب في هذه الدرجة: الأفعال المبدوءة بأحد أصوات الإطباق المنقولة إلى صيغة (افتعل) وتتحول التاء فيها وهو صوت منفتح إلى نظيره الطاء (المطبق) تحت تأثير مجاورته لأحد الأصوات المطبقة، نحو: صبر، وضرب، وطلب، وظلم التي تتحول إلى: اصتبر، واضترب،واطتلب، واظتلم ثم تصبح بالمماثلة الصوتية: اصطبر،واضطرب، واطلب، و اظلم[35].

ويتبين أن هذا النوع من التماثل مقبول لتأثر الصوت الثاني بالأول. ومن أمثلته في أمثال الميداني قولهم:**"اصطناع المعروف يقي مصارع السّوء"**[36]، في لفظة المثل(اصطناع) تحويل التاء التي هي صوت منفتح إلى الطاء تحت تأثير المجاورة بين الصد والطاء.

---

[32] *ابن عصفور، الممتع في التصريف: 1/365.*

[33] *إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب (المخطوط) ص 54*

[34] *الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص331، ص322، ص322.*

[35] *ابن جني، الخصائص،ج2، ص143.*

[36] *الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 303.*

وقولهم أيضا:"**اضطرّه السّيل إلى معطشة**"[37]، يظهر التماثل قي لفظة اضطرّ، وفيه تحويل التاء إلى طاء تحت تأثير المجاورة بين الضاد والطاء.

3 – الانسجام الصوتي:

ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين هذه الحركات لئلا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح[38].

وقد عرفها المحدثون بقولهم: ((إنها ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة، والمقاطع المتجاورة؛ نزوعا إلى التوافق الحركي واقتصادا في الجهد المبذول))[39].

إن اللغة العربية من اللغات التي عرفت الانسجام الصوتي نتيجة اعتماد العربي على السمع وحده؛ لذلك لجأ إلى ربط الألفاظ في ما اتصل منها في كلامه ربطا وثيقا أدى إلى ظهور تلك الحركات التي وصلت بين الكلمات وسميت في ما بعد بحركات الإعراب، وأن أمر اللغة متى اقتصر على السمع والإنشاد فلابد لها أن تعنى بالانسجام الصوتي؛ لأنه نوع من المماثلة الحركية، أو التقريب الصوتي لذا كان من وكد الدرس الصوتي عند العرب دراسة الكثير من المباحث التي تدخل قي ضمن هذه الحالة كالإتباع الحركي والإمالة والإدغام غيرها[40].

ومن بعض مظاهره الواردة في أمثال الميداني:

قلب الواو ياء:

تقلب الواو ياء في المواضع التالية:

1 - إذا وقعت الواو لاما متطرفة بعد كسرة، نحو: رَضيَ، وقَويَ، والراضي والسامي، الأصل فيها رَضوَ، وقَوِوَ، والراضِو، والسامِو، ولا يتغير الأمر إن كان بعدها تاء التأنيث نحو غازية، ومحنية، الأصل فيها غازوة ومحنوة[41].

فوقوع الواو بعد كسرة فيه تنافر وثقل؛ لأن الكسرة من الصوائت الأمامية التي يرتفع معها مقدم اللسان إلى أقصى حدّ، والواو صوت شفوي، أي أنه ينطق من مقدمة الفم، فيصعب على اللسان نطقهما معا، ففي ذلك جهد عضلي كبير، لذا تقلب الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها.

ومن نماذج هذه المماثلة الحركية في أمثال الميداني قولهم:[42] "**رَضِيَ من الوفاء باللَّفَاءِ**"، وقولهم أيضا: "**رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ**".

2 - إذا وقعت الواو عينا لفعل أجوف، فإنّه عند بنائه للمجهول تُقلبُ الواو ياء، نحو: قال ـــــ قُولَ ـــــ قِيل، يرى القدماء أن كسرة الواو قد نقلت إلى القاف بعد حذف الضّمة، ثم

---

[37] *نفسه: ج1، 295.*

[38] *د. إبراهيم انيس، في اللهجات العربية، 96.*

[39] *إبراهيم عطية، في البحث الصوتي عند العرب :56.*

[40] *ينظر: المرجع نفسه :57.*

[41] *ابن جني، سر صناعة الإعراب: ج32/1، و ابن القبيصي، التتمة في التصريف: ص102.*

[42] *الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص: 464، 453.*

قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها[43]، بينما يرى المحدثون أنّ ضمة القاف قد قلبت كسرة، ثم حذفت الواو فالتقت الكسرتان، فدمجتا فأصبحتا صائتا طويلا هو الياء[44].

وقد ورد مثل ذلك في الأمثال الآتية:[45]

"قِيل لحبلى ما تشتهين؟ فقالت التمر وواهاليَه"

"قد حِيل بين العير والنّزوان".

"قِيل للشحم: أين تذهبْ؟ قال: أُقَوّم المُعوجَّ"

"قد قِيل ذلك إن حقّا وإنْ كذِبأ"

3 - إذا كانت الواو والياء متحركتين بالفتح وما قبلهما مفتوح، كوقوع الواو والياء عينا لفعل ثلاثي أجوف متحركتين بالفتح وقبلهما فتحة، فإنّهما تقلبان ألفا نحو: قال، وباع، الأصل فيهما قول، وبيع، ويرى القدماء أن الواو والياء قد انفتحتا وانفتح ما قبلهما، مما أدى إلى قلبهما ألفا[46]، أما المحدثون فيرون أن الواو والياء قد حذفتا، فالتقت الفتحتان فأصبحتا ألفا[47].

أمثلة ذلك ما ورد في أمثال الميداني قولهم:[48] **"إذا نام ظالعُ الكلاب"**، وقوله صلى الله عليه وسلم**"رحم الله عبداً قَالَ خيراً فَغَنِمَ أو سَكَتَ فسلم"**،والمثل القائل:**"قِيلَ للشقيّ: هلمّ إلى السعادة، فقَال: حسبي ما أنا فيه".**

4 – إذا وقعت الواو ساكنة غير مشدّدة، وقبلها كسرة نحو: ميزان، وميعاد، وميقات، أصلها: مِوْزان، مِوْعاد، مِوْقات، لأنها من الوزن، والوعد، والوقت.

حيث وقعت الواو ساكنة وقبلها كسرة مما أحدث تنافرا، لذا قُلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها، مثال ذلك المثل الذي أورده الميداني" **السّفَرُ ميزانُ السَّفْرِ**"[49].

5 – إذا وقعت الواو لاما لصفة على وزن فُعلى نحو: دنيا وعليا والأصل هو دنوى وعلوى.[50]

يبدو أنّ سبب القلب هنا هو وقوع الواو بعد ضمّة لا يفصل بينهما سوى صامت ساكن، فأحدث ذلك ثقلا مستكرها تم تخفيفه عن طريق قلب الواو ياء، فتحقق الانسجام الصوتي.

ومنه المثل الوارد في مجمع الأمثال: **"مِنْ نكِدَ الدُّنْيا مَنْفَعةُ الهِلِيلَج وَمَضَرَّةُ اللَّوْزِينَج"**[51]

6 – إذا اجتمعت الواو مع الياء في كلمة واحدة لا يفصل بينهما فاصل، وكان السابق منهما أصيلا ساكنا نحو: سيّد، وميّت أصلهما سيْود، وميْوِت[52]، فقد سُبقت الواو المكسورة بالياء الساكنة، مما أحد تنافرا وجهدا عضليا كبيرا؛ لأن اللسان كان مرتفعا نحو الغار في أثناء النّطق بالياء، ثم تمّ الانتقال إلى مقدّمة الفم في أثناء النطق بالواو، ثم الكسرة ليرتفع معها مقدم اللسان إلى أقصى درجة، والتي لا تتناسب مع الواو، لذا قُلبت الواو ياء لتتناسب مع الياء

---

[43] *ابن جني، التصريف الملوكي: ص 47*

[44] *د يحي عبابنة، دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية: ص120 - 121.*

[45] *الميداني: مجمع الأمثال، ج1، ص92، ص96، ص108، ص102.*

[46] *ابن جني، سر صناعة الإعراب: 32/1، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، 102.*

[47] *د جسام النعيمي، أبحاث في أصوات العربية: ص47.*

[48] *الميداني: مجمع الأمثال،ج1، ص26، 449، ج2 ،97.*

[49] *نفسه: ص344.*

[50] *سيبويه، الكتاب: 389/4، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، 36، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، 109.*

[51] *الميداني: مجمع الأمثال، ج1، ص329.*

[52] *الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف: 34.*

السابقة لها ومع الكسرة اللاحقة بها، فاجتمع صوتان متماثلان أولهما ساكن فأدغما في بعضهما البعض لتتحقّق الخفّة والانسجام الصوتي.
ومنه ما ورد في المثل:" **هَذَا الْمَيّتُ لاَ يُسَاوي الْبُكَاءَ** "[53].

قلب الهمزة ألفا أو واوا أو ياء:

يكون هذا القلب في المواضع الآتية:
تقلب الهمزة واوا أو ياء في الجمع على وزن "مفاعل" وما شابهه في عدد الصوامت ونوع الصوائت بالشروط الآتية[54]:

- أن تكون الهمزة عارضة بعد ألف التكسير، أي غير أصلية.
- أن تكون لام المفرد إمّا همزة أصلية، وإما واوا أو ياء أصليتين.

وذلك يكون وفق الآتي:

أ. كلمة لامها همزة أصلية: نحو خطيئة ودنيئة، ورزيئة، عند جمعها جمع تكسير فإنّها تصبح خطايا، ودنايا، ورزايا، ويرى القدماء أن الأصل فيها خطايئ، ودنايئ، ورزايئ، وأنه قد أبدلت الياء المكسورة همزة، فأصبحت خطائئ، ودنائئ، ورزائئ، ثم قلبت الهمزة الثانية ياء لتطرّفها، وانكسار ما قبلها، فأصبحت خطاءا، ودناءا، ورزاءا، فاجتمع ألفان بينهما همزة، وفي ذلك ثقل مستكره فأبدلت الهمزة ياء فأصبحت: خطايا، ودنايا، ورزايا.[55]

ولتحقيق الخفة والسهولة في نطق مثل هذه المفردات، وقع الأمر على الهمزة لتطرّفها ووقوعها بعد ثقلين، فكان لا بدّ من تخفيف الثقل الأخير، فحذفت الهمزة مع صائتها، وأصبحت الكلمات خطايِ، ودنايِ، ورزايِ، ثم قلبت كسرة الياء فتحة لتتناسب مع الألف قبلها، وليخف الثقل الناتج عن اجتماع الكسرة مع الياء، والتي هي من جنسها، فأصبحت خطايَ، ودنايَ، ورزايَ، ثم تم تطويل الفتحة القصيرة فأصبحت ألفا، وعلى ذلك يكون وزن تلك الكلمات هو: فعايا، وليس فعايل، والإعلال هنا كان بالحذف، وليس بالقلب.
وسواء أكان الأمر قلبا أم حذفا فإن التركيب المقطعي لهذه الكلمات سوف يتغيّر من أربعة مقاطع إلى ثلاثة، ويمكن توضيح ذلك من خلال المثال التالي:

خطايئٌ =خ ـــــ /ط ـــ ـــ/ي ـــ /ء ـــ ـــ خ ـــــ /ط ـــــ ـــــ /ي
ـــــ ـــــ

ومن أمثلة ذلك في أمثال الميداني قول العرب:" **رَأْسُ الْخَطَايَا الْحِرْصُ والغَضَبُ**"[56].

ب -كلمة لامها ياء أصلها واو، نحو مطيّة، وهديّة، أصلها مطيوة، وهديوة وعند جمعها على "فعائل" تصبح: مطايا وهدايا[57].

يرى القدماء أن أصل مطايا هو مطايو، ثم قلبت الواو ياء لتطرّفها بعد كسرة فأصبحت مطايي، ثم قلبت الياء الأولى همزة فأصبحت مطائي، ثم أبدلت كسرة الهمزة فتحة، فأصبحت

---

[53] *الميداني: مجمع الأمثال، ج2، ص410.*
[54] *أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، الناشر: دار الكيان. ص154.*
[55] *ابن جني، المنصف: 54/2- 55، و ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 519- 520.*
[56] *الميداني، مجمع الأمثال: ج1، ص490.*
[57] *سيبويه، الكتاب: 390/4، والأستاذ عباس حسن، النحو الوافي: 768/4.*

مطاءَي، ثم أُبدلت الياء ألفا، فأصبحت مطاءا، ثم أبدلت الهمزة ياء، فأصبحت مطايا[58]. مثل ما ورد في المثل العربي: **"المَنَايا عَلَى السَّوَايَا"**[59].

ج - إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة، فإن الثانية منهما تُقلب على النحو التالي:

إذا كانت الهمزة الأولى متحركة والثانية ساكنة، فإن الثانية تقلب إما ألفا وإما واوا وإما ياء، حسب الصائت القصير الذي قبلها، نحو: آمن أصلها أَأْمن، حيث قلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفا لتجانس الفتحة قبلها، فأصبحت أامن أي آمن، وكذلك الحال في آدم، وآخر. ومما ورد في مجمع الأمثال مثل هذا القلب قولهم:[60] **"آخِرُهَا أَقَلُّهَا شُرْباً"**. **"آكُلُ لَحْمِي وَلاَ أَدَعُهُ لآكِلِ"**. **"آهَةٌ وَمَيهَةٌ"**.

وفي إيمان الأصل فيها إئمان، قلبت الهمزة الثانية الساكنة ياء لمناسبة الكسرة قبلها، وكذلك الحال في إيثار وإيلاف[61].

وعليه جاء في أمثال الميداني قول العرب:[62] **"الغَيْرَةُ مِنَ الإيمانِ"**، **"نِصْفُ العَقَلِ بَعْدَ الإيمَانَ بالله مُدَارَاةُ النَّاس" "لاَ يبلغ العبد حقيقَةَ الإَيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن لِيُخْطِئه، وما أخطأه لم يكن ليُصِيبَه"**.

يرى المحدثون أن الذي حدث في مثل هذه الكلمات لم يكن قلبا للهمزة الثانية، وإنما كان حذفا لها، ثمّ حُوّل الصائت القصير قبلها إلى صائت طويل[63].

ومهما كان الإعلال قلبا أو حذفا فإنّه يعمل على تحقيق الخفّة والسهولة في نطق الكلمة حتى تصبح فصيحة.

ويمكننا القول من خلال ما تقدّم:

دراسة المشاكلة ضرورة قائمة كي تسهم في إضاءة جوانب ما تزال مطوية في النمط الخطابي العربي، ومن المؤكد أن حس المشاكلة كان أصيلا بدليل أنه لا يخلو خطاب إبلاغي في مختلف العصور ولو بدرجات متفاوتة من التعبير بالمشاكلة، خاصة ما يتعلّق بالجانب الصوتي الذي يحرص عليه الذين يتداولون الخطاب الشفهي، ومن ذلك خطاب الأمثال.

وتبعا لخصوصيات المثل الذي يعتمد على المشافهة في عملية إبلاغ أية رسالة إلى المتلقي، فإن قائل المثل يهدف من وراء اختياره لهذه الظاهرة الصوتية تحقيق الانسجام الصوتي في السياق من جهة، وتحقيق عنصر الخفة والسهولة عبر اختيار مفردات المثل من جهة أخرى. وهذا ما تنشده الأسلوبية في مقاربتها للخطاب.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، جروس برس.

---

[58] ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 520، 521.

[59] الميداني، مجمع الأمثال: ج2/324.

[60] نفسه: ج1/64- 66 - 72.

[61] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، : 523.

[62] الميداني، مجمع الأمثال: ج1/765، ج2، 400، 589.

[63] د.ديزيرة سقال، الصرف وعلم الأصوات: 123.

الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط4، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة 1971م.
أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق :محمد عبد المنعم خفاجي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2000 م .
البرهان في علوم القران، الزركشي، تح : محمد أبي الفضل إبراهيم: ج3.
البلاغة العربية قراءة أخرى، الدكتور: محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة ـ القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، ط1، 1997م.
التتمة في التصريف، ابن القبيصي، تحقيق محمد بن سالم العميري. مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ـ ط1. 1993م.
التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ط1 مط المدني، الناشر مكتبة الخانجي، مصر 1404هـ - 1983.
الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392 هـ) تح : محمد علي النجار، ط1، الهيأة المصرية العامة للكتاب مصر 1999.
دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية، د يجي عبابنة، دار الشروق للنشر والتوزيع. ط1.
سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني أبو الفتح، تحقيق حسن هنداوي.
شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، الناشر: دار الكيان.
شرح الشافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت686هـ) تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان.
الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، لأبي الحسن احمد بن زكريا بن فارس (ت395هـ)، تح: مصطفى الشويمي، د.ط، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت 1382هـ- 1963.
الصرف وعلم الأصوات، د.ديزيرة سقال، دار الصداقة العربية ـ بيروت ـ ط1، 1996.
في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، مخطوط .
القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د-ت) ،ج5503.
كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت 180هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 1425هـ - 2004م.
لسان العرب، لابن منظور المصري (ت711هـ)، د.ط، دار صادر بيروت (د.ت)
مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2003م.
معاني القران، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، تح : محمد علي النجار وآخرين، د.ط، دار السرور، بيروت (د.ط).
المفصل في علم العربية،لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) ، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت.
الممتع في التصريف، لابن عصفور الاشبيلي تح:د. فخر الدين قباوة، ط3 منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت 1978م.

المنصف، لابن جني، تحقيق:إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، وزارة المعارف، إدارة إحياء التراث القديم ط1 1960 م .
نزهة الطرف في علم الصرف: أحمد محمد الميداني: شرح ودراسة الدكتور يسريه محمد إبراهيم حسن، ط1 - 1413هـ.